وقفة حول المعاجم العلمية العربية

للدكتور محمود مختار

السائر فى طريق العلم والمعرفة عليه أن يتوقف بين حين وآخر ليتبين معالم الطريق الذى يسلكه وتقييم ما قطعه منه ، ثم تقويم مساره إذا لزم الأمر قبل مواصلة السير . من أجل ذلك كانت هذه الوقفة وكان هذا الحديث القصير حول موضوع المعاجم العلمية العربية المعاصرة بوصفها أقوى دعامة يقوم عليها الموضوع الحيوى الكبير " تعريب العلم والتعليم الجامعى فى الكليات العلمية " ، وهو الموضوع الذى ظل يشغل اهتمام عدد من الهيئات العلمية والتعليمية واللغوية ردحاً من الزمن وفى أرجاء الوطن العربى الكبير دون الوصول إلى حل جذرى له حتى اليوم . وقد قامت مجامع اللغة العربية بنصيب كبير وأدت واجبها بهمة ونشاط فأصدرت المعاجم العلمية العربية المتخصصة فى العلوم الأساسية والعلوم التطبيقية ، بوصفها من أهم روافد الحضارة العلمية ، والتكنولوجية الحديثة .

إن هذه العلوم الأساسية والتطبيقية المعاصرة التى وضعت أعمق جذورها فى الوطن العربى منذ أكثر من ألف عام قد نمت واشتد عودها وامتدت فروعها، ولكن ليس فى منبتها بل فى بلاد أجنبية تبنتها ثم زرعتها حتى أتت ثماراً يانعة سرعان ما تخاطفتها جميع بلاد العالم وغيرت بها مجرى حياتها ، وكان من بينها بطبيعة الحال العالم العربى ، وهو وإن جاءت صحوته بعد طول غفوة إلا أنه لم يقنع باقتطاف الثمرات الناضجة فحسب بل قام ليسهم فى التقدم العلمى بنفسه . فكان عليه أولاً أن يبدأ باستيعاب هذه العلوم الحديثة المتقدمة وأن ينقلها من لغة أهلها إلى

(*) ألقى هذا البحث بالجلسة الرابعة من جلسات المؤتمر يوم الأربعاء ٢٨ من رجب سنة ١٤١١ هـ الموافق ١٣ من فبراير سنة ١٩٩١ م .

اللغة العربية ، اللغة الأم ، ليسهل تداولها بين دارسيها ونشرها فى الهيئات العلمية والتطبيقية .

ونشطت الهيئات العلمية ، وتجاوبت مع نداءات مجامع اللغة العربية ، وعُقدت المؤتمرات والندوات وأُلّفت اللجان العلمية اللغوية المتخصصة وأُخرج عدد من المعاجم العلمية المتخصصة ، تحمل مجمع اللغة بالقاهرة القسط الأكبر فى هذه المعاجم التى لاقت ترحيباً فى الهيئات العلمية والتعليمية والبحثية واحتلت مكاناً بارزاً فى المكتبة العلمية العربية كان شاغراً .

وهنا أستأذن فى وقفة قصيرة حول هذه المعاجم بعد ممارسة العمل بها لحقبتين أو أكثر لأتساءل : إلى أى مدى أدت هذه المعاجم وظيفتها وأوفت برسالتها ؟

تستلزم الإجابة على هذا التساؤل أن أستعرض فى كلمات سريعة أنواع المعاجم العلمية وأغراضها ومقوماتها . فأقول إنها من أنواع ثلاثة : معجم شامل عربى بحت ، ومعجم تخصصى عربى أجنبى ، ومعجم وجيز للجيب .

فالمعجم العلمى الشامل هو معجم يتناول كافة العلوم الأساسية والتطبيقية المعاصرة بمصطلحاتها وتعريفاتها العلمية المعجمية ومرتب وفقاً لألفبائية لغته ، ولدينا نمط منه هو المعجم اللغوى الكبير الذى قطع مجمع اللغة العربية بالقاهرة فى إنجازه شوطاً كبيراً ، ومن أمثلته أيضاً من المعاجم الأجنبية المعاصرة ، وبستر ، وأكسفورد ، ولاروس ومثل هذا المعجم العلمى الشامل الكبير مهما بدا لنا اليوم هدفاً عربياً بعيد المدى والمنال إلا أنه هدف حيوى هام يفرضه علينا التطلع إلى مستوى علمى حضارى رفيع ويلزمنا بتحقيقه إن عاجلاً أو آجلاً .

أما المعجم العلمى التخصصى فهو معجم عربى أجنبى تناول مجالاً علمياً محدداً على نمط المعاجم العلمية المتخصصة التى تخرجها مجامع اللغة العربية ، ويقرن بين المصطلحات الأجنبية ومقابلاتها العربية ويعرف بمدلولها فى

عبارة مبسطة . ومن الواضح أن هذا المعجم المتخصص يخدم فئة العلميين الذين يقومون بمهمة التدريس الجامعى ويحملون العبء الكبير فى ملاحقة التقدم العلمى والتكنولوجى الحديث ، وفى سبيل ذلك كان عليهم القيام بتعريب ما انهمر من مصطلحات محدثة ومخلقة ، مع الاستعانة دائماً بزملائهم اللغويين الذين هم سدنة اللغة وحفاظها ، من أجل هؤلاء العلميين العاملين فى مجالات الترجمة والتأليف والتعليم والبحث ، أخرجت المعاجم العلمية المتخصصة فوضعت مرتبة وفقاً للألفبائية العربية ومعرفة باللغة العربية طبعاً ، مع وضع كشاف أو فهرس بالألفبائية العربية . وقد أجاز مجلس المجمع هذا النظام باعتباره خطوة انتقالية ضرورية نأمل أن يتم تطويرها مستقبلاً لنظام الألفبائية العربى الطبيعى فى المعجم العربى العلمى الشامل المرتقب بإذن الله .

وبالإضافة إلى ما تؤديه هذه المعاجم المتخصصة من خدمة أعمال التعليم والترجمة والتأليف فإنها تشكل أيضاً المدخل الأساسى والحصيلة المتكاملة لإخراج المعجم العلمى العربى الشامل الكبير .

أما النوع الثالث من المعاجم العلمية فهو المعجم العلمى الوجيز أو ما يعرف عادة باسم قاموس الجيب .

وهو هذا الكتيب الخفيف اللطيف الذى لا غنى للمثقف والطالب عنه فى مرحلة الدراسة العامة والجامعية . ويعمل هذا المعجم العلمى الوجيز فى كلا الاتجاهين : عربى أجنبى ، وأجنبى عربى ويقتصر على المصطلح ومقابله دون حاجة لشرحه أو التعريف بمدلوله . ويعين صاحبه على التعبير بأى من اللغتين العربية والأجنبية بطلاقة مناسبة ، بعيداً عن هذا الخلط المعيب الذى شاع استخدامه فى الدراسة الجامعية العلمية بل فى المؤتمرات والندوات وفى بعض الكتب الدراسية . هذا الخلط الشاذ بين لغة أجنبية ركيكة عامة ولغة عربية عامية دارجة .

من بين هذه المعاجم العلمية الثلاثة يشدنى المعجم العلمى المتخصص إلى وقفة قصيرة حوله بحكم وجوده بين أيدينا واجتيازه فترة اختبار طويلة . يستند هذا المعجم إلى دعامتين اثنتين هما : المصطلح وتعريفه ، ويقوم على ما وضعته لجان علمية لغوية متخصصة تعمل وفقا لما توصى به المؤتمرات والندوات وما يدور من مناقشات وما يكتب من مقالات ودراسات . ولا أرانى فى حاجة إلى أن أشغلكم بكل هذه التوصيات والقرارات ، فقد أعفانا مجمع اللغة من الخوض فى بحارها الواسعة بأن لخصها وسجلها فى نشرة إعلامية وزعت على نطاق واسع فى الهيئات التى تعمل فى مجال التعليم والتأليف والترجمة والبحث العلمى . واليوم وقد مضى على هذا النهج أكثر من أربعة عشر عاما ، لا شك أنه قد أصبح فى حاجة للمراجعة وإعادة النظر وتقويم ضوابطه ، شأن كل نظام لايصقل إلا بالاستخدام . وربما كان الدافع لهذه المراجعة ما يعانى منه مجلس المجمع ولجانه من نقاش طويل ومتكرر عند الاختيار بين ترجمة لفظ أجنبى وتعريبه أو كيفية صياغة التعريف. وما هذا النقاش الطويل إلا بسبب عدم كفاية الضوابط المحددة لكيفية الاختيار وأسلوب الصياغة . ولا أشك فى أن كل من استخدم أو تصفح هذه المعاجم قد خرج منها بعدد من الملاحظات . سوف أورد بعضاً منها على سبيل المثال لا الحصر .

أبدؤها بظهور المصطلح الأجنبى الواحد المحدد بأكثر من مقابل عربى واحد فى المعاجم المختلفة مما يثير البلبلة فى مفهومه أو فى معناه ، وهنا تتضح الحاجة إلى التنسيق بين المعاجم ولا أقول التطابق . ثم مشكلة إدخال السوابق واللواحق على المصطلح العربى ، أسوة بما اتخذته اللغات الأجنبية فى مواجهة الكم الهائل من المصطلحات ذات الدلالات المتقاربة المتواصلة . ما حكم اللغة العربية فيها ؟ هل تضيق بها وتحاول الحد منها أو أنها ترحب بها فتعمل على نشرها بعد أن تحكم ضوابطها ؟

وثمة موضوع هام لم يتناول النهج السابق وهو موضوع الرموز العلمية والوحدات والدلالات ومدى استخدامها مترجمة أو معربة في اللغة العلمية العربية. وهنا يسرني أن أشيد باهتمام مجمع اللغة العربية فى الأردن بهذا الموضوع فقد عقد له مؤتمرا خاصا منذ عامين تناول فيه وضع ضوابط لاستخدام هذه الرموز والوحدات في اللغة العلمية العربيةونشرت توصياته على نطاق واسع.

مثال ذلك كتابة ق د ك مقابل قوة دافعة كهربائية ، و ح م مقابل وحدة حساب ومنطق (فى لغة الحاسبات) وقد تسرب هذا الأسلوب من اللغة العلمية إلي لغة الحديث العام فكتبت ج . م . ع مقابل جمهورية مصر العربية ، وكتب أ . د . مقابل الإستاذ الدكتور . ومن المسلم به أن هذا الأسلوب قد استخدام في الكتابة العربية القديمة وإن كان بأسلوب مغاير . وإنى أتساءل :ما حكم اللغة العربية فى إطلاق هذا الأسلوب بالطرق العشوائية التى نشهدها اليوم ؟ .

ثم تلك الكلمات التى تكونت من مبادئ ألفاظ أجنبية مثل الليزر والإيدز والرادار التى تسللت إلى اللغة العربية على استحياء ثم لم تلبث أن انتشرت فيها انتشارا وبائيا كما فى علم الحاسبات . مثلا هل يكبح جماحها وتحدد ضوابطها أو تستبدل بها كلمات عربية ؟

ثم هذه المأساة التى ذاعت حديثاً من كتابة الحروف الأجنبية أو الكلمات الأجنبية بحروف عربية وشاع استعمالها فى لافتات الإعلام والمحلات التجارية . وقد شجب مجمع اللغة هذا الأسلوب فى حينه وإن كان لايزال مستمرا .

وأعود إلى اللغة العلمية العربية المعاصرة حيث استخدمت الرموز الكيميائية بصورتها فى الكتب الأجنبية بدعوى أن هذا قرار داخلى . وهو قرار وإن بدا وجيها فى مظهره إلا أنه خبيث فى مخبره ، إذ أنه فتح الباب لمزيد من التمادى بكتابة المعادلات الكيميائية كاملة بصورتها الأجنبية ومن الشمال إلى

اليمين . وانتقلت العدوى حديثا إلى كتب الفيزيقا العربية لصلتها الوثيقة بالكيمياء فكتبت فيها المعادلات أيضا بصورتها الأجنبية وفى الاتجاه من الشمال إلى اليمين . فهل ترضى اللغة العربية عن هذا الخلط ؟

ويستطرد بنا الحديث إلى كتابة الأرقام فى عدد من الدول العربية بصورتها المألوفة فى الكتب الأجنبية بدعوى أنها من أصل عربى ، وهى دعوى مشكوك فى صحتها .

هذه وقفة بل وقفات ألمحت إليها كأمثلة فقط دون حصر ودون إسهاب ، أرجو أن تجدلها صدى أو تجاوبا بين الهيئات العلمية والمجامع اللغوية فتعنى بدراستها دراسة متأنية هادفة ، توضع حصيلتها فى صورة نهج مفصل متطور موسع يحمل اسم اتحاد مجامع اللغة العربية يضئ الطريق أمام العاملين فى مجالات البحث والتعليم والترجمة والتأليف ووضع المعاجم ويخرجهم من حيرتهم وبلبلتهم ، ويؤكد لهم قوة اللغة العربية وقدرتها علي مسايرة عصر العلم، وصلاحيتها لكل زمان ومكان ، وهذا هو الخلود الذى أضفاه عليها القرآن الكريم .

محمود مختار

عضو المجمع